

DOI: 10.54240/2318-014-002-011

أساليب فرنسا الاستعمارية في السيطرة على إقليم بني ورتلان
وما جاوره خلال القرن 19م وردود الفعل حولها.

France's colonial methods of controlling the territory of Bani
Wartilan and its surroundings during the 19th century AD and the
reactions around them.

اسم ولقب المؤلف المرسل: عبد النور أيت بعزیز- Ait Baziz Abdenour صص 262-285
الدرجة والعنوان المهني: دكتور- أستاذ محاضر "أ"- جامعة البليدة 2- لوني سي علي- الجزائر.
البريد الإلكتروني: a.aitbaziz@univ-blida2.dz

تاريخ استقبال المقال: 2024/06/18. تاريخ المراجعة: 2024/07/10.. تاريخ القبول: 2024/10/18.

الملخص: تتناول هذه الدراسة جانبين أو محورين، الأول يشمل التعريف بإقليم بني ورتلان وما جاورها تعريفا شاملا، وإظهار الحالة التي كانت عليها خلال القرن التاسع عشر ميلادي من خلال محاولات السلطة الاستعمارية إخضاع الإقليم بواسطة الحملات العسكرية التي استهدفتها منذ 1847م، وتنصيب ممثلين عنها لبسط سلطتها وإدارتها وتسيير ومراقبة الإقليم وإخضاعه باعتباره إقليما ثائرا وتمرّدا. عن طريق تعيين ممثلين للإدارة الاستعمارية من أبناء الإقليم مثل: النائب الأهلي والقايد والباشاغا والخوجة.

بينما يستعرض المحور الثاني من الدراسة أمثلة ونماذج من السياسات الاستعمارية في محاولتها للسيطرة على هذا الإقليم خلال فترة الدراسة، مثل: إطلاق يد القياد وأعوانهم كحرس الشمبيط وغيرهم على السكان، وإجراء إحصاء السكان والممتلكات، وتلقيب العائلات وبناء مدارس لتدريس اللغة الفرنسية، ونشر التبشير المسيحي ببناء الكنائس وتشجيع المبشرين، وغيرها من الإجراءات التي تركت أثارا سلبية على حالة السكان وجعلتهم يقومون بردود أفعال تعبيرا عن رفضهم لتلك الأساليب والسياسات.

الكلمات المفتاحية: إقليم بني ورتلان - تلقيب العائلات - القيادة - إحصاء السكان- الباشاغا- النائب الأهلي- بني يعلى- القبيلة- قرقور- بوزيد بن عبيد.

ABSTRACT : This study deals with two axes, the first includes the definition of the area of Bani Wartilan and its surroundings in a comprehensive manner, showing the situation it was in during the nineteenth century AD through the attempts of the colonial authority to subjugate the area via military campaigns that targeted it since 1847 AD; and the installation of representatives to extend its authority and management, and control the area , and subjecting it as a rebellious area. By appointing representatives of the colonial administration from the people of the area, such as: the Indigenous Deputy, the 'Qayed', the 'Bashagha' and the 'Khoja'. While the second axis of the study reviews examples and models of colonial policies in their attempt to control this area during this study's period, such as: granting unlimited power to leaders and their aides, including the Shambit guards and so to restrict the population, conducting a census of population and property, nomination of families, building schools to teach French, spreading Christian evangelization by building churches and encouraging missionaries, and other measures that left negative effects on the situation of the population and made them react to express their rejection of these methods and policies.

Keywords: Bani Wartilan area- nomination of Families- Al-Qayed- Population Census- Bashagha- Indigenous Deputy- Bani Yala- Tribe- Guergour- Bouzid Benabid .

المقدمة: بعد نجاح الاحتلال الفرنسي في بسط سيطرته على أهم المدن الساحلية الجزائرية بالحديد والنار والمكر والخداع، قرّر توسيع نفوذه نحو المناطق الداخلية، واستعمل في ذلك مختلف أساليب الترغيب والترهيب ضدّ الحزائريين سواء المقاومين منهم أو المسلمين، ومن بين الأقاليم التي استهدفها هذا التوسّع إقليم إيث ورتلان (بني ورتلان) وماجاورة والذي خصّصنا له دراستنا كعينة لدراسة التاريخ المحلي الذي نسعى للتخصّص فيه. يقع الإقليم المذكور في شمال غرب ولاية سطيف حاليا، يحده شرقا بلدية بوسلام وبلدية إيث يخلف (ذراع قبيلة)، وغربا ولاية برج بوعريّج، وجنوبا بلدية حربيل، وبلدية إيث يعلى (قنزات)، وشمالا ولاية بجاية، بلغ مجموع عدد قراه 15 قرية خلال القرن 19 م. كان في السابق جزء من بلدية قرقور المختلطة (Commune Mixte du Guergour) التي تشمل الأعراش والدواوير التالية: حربيل، قنزات، إخليجن، ساحل قبلي، ماوكلان، حمام قرقور، بوقاعة، وكانت بلدية قرقور المختلطة

آنذاك تتبع دائرة بجاية أحيانا ودائرة سطيف أحيانا أخرى لكونها تحتل موقعا وسطا بينهما، وقد استهدفها الاحتلال الفرنسي منذ سنة 1847م متبعا في ذلك عدة أساليب مأكرة وحاقدة. طرح الإشكالية: تتناول هذه الدراسة إشكالية إبراز أنواع وأشكال وأساليب وطرق وآليات وطبيعة السياسات والأساليب الاستعمارية، والنتائج والآثار والمخاطر والأبعاد التي ترتبت عنها، وكيف كانت ردود أفعال السكان حولها، حسب ما توفّر لدينا من مصادر ومراجع وهي قليلة وغير كافية.

وضع الفرضيات: إن قلة الأراضي الزراعية الخصبة والطبيعة الجبلية الوعرة وبعد الإقليم نسبيا عن المناطق الساحلية المحتلة وأماكن تركز المستوطنين، والطابع القبلي والعروشي لسكان الإقليم، ووجود عائلات ذات نفوذ كبير بين السكان وقابليتها لخدمة السلطات الفرنسية، كل هذه العوامل في تقديرنا هي التي جعلت هذه الأخيرة تعتمد على أساليب متنوعة وغير مباشرة لفرض سيطرتها على الإقليم، قابلهما السكان المحليين بالمقاومة وبالرفض والاحتجاج وعدم الاستسلام والخضوع.

أهداف البحث ومنهجيته: تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على أوضاع وظروف الإقليم عيّنة الدراسة خلال القرن 19م اقتصاديا واجتماعيا وتاريخيا وثقافيا، ورصد وتتبع السياسات التي طبقتها إدارة الاحتلال لفرض سيطرتها على الإقليم بطريقة غير مباشرة، وتأثيراتها السلبية على السكان، وردود فعل هؤلاء إزاءها. أما المنهج المتبع فيتمثل في المنهج التاريخي الذي يعتمد على الوصف والسرد والتحليل والمقارنة والاستنتاج.

1-التعريف بإقليم بني ورتلان وما جاوره:

1-1 الخصائص والمميزات العامة: يمتاز الإقليم المذكور بموقعه الجغرافي الاستراتيجي كمنطقة عبور بين ثلاث ولايات (بجاية، سطيف، برج بوعريّج)، وبصعوبة المسالك وتعقد التضاريس التي تسببت في عزله لبعده عن طرق المواصلات الرئيسية، حيث تحيط به الجبال من جميع الجهات، مثل جبل "أَزْرُو يَفْلَان" وجبل "دَلَّاقَة" وجبل "قَنْطُوشْت"، ويتراوح متوسط ارتفاع هضاب وجبال الإقليم بين 600 م و 1300 م والتي تكسوها غابات وأشجار الصنوبر والبلوط، ويسوده مناخ يمتاز بالجفاف والحرارة صيفا والبرودة شتاء، ويعتبر وادي "بوسلام" الذي ينبع من الأوراس ويصب قرب خليج بجاية بعد التحامه بوادي "الصومام" أهم واد في

الإقليم، وكان التساقط وافرا خلال القرن التاسع عشر مما ساعد على وفرة الإنتاج الزراعي والحيواني وسمح بتحقيق الاكتفاء الذاتي، وساعد على توفر الموارد المائية من آبار وعيون وينابيع وحمامات معدنية¹.

وقد ساهمت الظروف الطبيعية القاسية وخشونة الحياة في هذا الإقليم الريفي الجبلي الوعر في تعود سكانه على الصبر وقوة التحمل ورفع التحدي والرغبة في الانتصار والتجديد المستمر للمواجهة، فضلا عن صفاء السريرة ونقاء الروح، وإعمال الفكر والعقل للتأمل في مكنونات الطبيعة والكون. وقد بين الشيخ محمد البشير الإبراهيمي مدى تأثير هذه البيئة في صقل مواهب شخصية سكان الإقليم واعتبر أن جبال الأطلس وقممها العالية وغاباتها الطبيعية وغابات الشجرتين المباركتين التين والزيتون، أكسبت السكان هدوء التأمل ومثانة الفكر وصلابة العقيدة، وركانة العقل وأن التوعر ألزم الخلال للرجل².

أما المجتمع الورثاني فيمتاز اجتماعيا بالمحافظة والانغلاق لطبيعة الإقليم جغرافيا، حيث حافظ إلى حد كبير على العادات والتقاليد وتمسك بأصول الأخلاق والدين، وبقيت اللغة الأمازيغية (القبائلية) تسود بين السكان في التخاطب والتعامل، مع إقبالهم الكبير على تعلم علوم الدين الإسلامي واللغة العربية في الكتاتيب والمساجد والزوايا والمدارس الحرة، مقابل انتشار محدود للغة الفرنسية. ويقوم التنظيم الاجتماعي على السلطة الأبوية المطلقة، حيث يقتصر دور المرأة في المجال الاجتماعي على تربية الأبناء وتحمل عبء أعمال المنزل، بينما تتكفل هيئة (ثاجماث) بتسيير الشؤون الاجتماعية وتتكون من عقلاء القرية الذين يتم تعيينهم حسب معايير السن والتجربة والحكمة ورجاحة العقل والنفوذ، وتعد جلسة دورية لمعالجة القضايا الاجتماعية المطروحة، كالاخلافات والنزاعات، ومسائل الميراث واقتسام الأملاك³.

1- عبد الرزاق جيجيك- التراث الثقافي لمنطقة بني ورتلان معالم وأعلام- ط2- دار المجدد- المكتبة الوطنية الجزائرية- سطيف- الجزائر- 2021م- ص 13.

1- محمد البشير الإبراهيمي- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي- ج4- (1952-1954م)- ط1- دار الغرب الإسلامي- بيروت- 1999م- ص 149.

2- عثمان مجدوبي- الحكاية الشعبية في منطقة بني ورتلان دراسة ميدانية- رسالة ماجستير في الأدب الشعبي- جامعة الجزائر- 2001/2000م- ص 20.

وتصدر هيئة (ثاجماعث) أحكاما نافذة حسب القضايا والحالات تتراوح بين إصلاح ذات البين والتأديب، والزجر والإنذار، والهجر والعقوبة، والمقاطعة والإبعاد والطرد، فهي محكمة شرعية شعبية حقيقية تستند في قراراتها إلى أحكام الشريعة الإسلامية والعرف، وهو الأمر الذي جعل المنطقة بعيدة عن السيطرة الاستعمارية إذ لم يتمركز فيها الجيش الفرنسي طيلة القرن التاسع عشر ميلادي، واقتصرت سلطته على أعوانه كالقائد والباشاغا والخوجة.

أما تاريخيا فإن كل ما نعرفه عن هذا الإقليم أن الآثار المادية تدل على استقرار الإنسان فيه منذ فجر التاريخ على الأقل بدليل انتشار الكهوف والمغارات مثل مغارات "أزرو يفلان"، و"إفري نَبَارَنَزَن"، والغار "نُبُوحْنَيْف"، فضلا عن المواقع الأثرية الأمازيغية في "ثانورية"، و"بربر" و"مصّاط" وغيرها، ثم مواقع الآثار الرومانية في "دلاقة" و"بوغروم" وإيث جماتي وإيث موحي، بالإضافة إلى معالم الآثار الإسلامية كالزوايا وأضرحة الأولياء الصالحين، والمساجد العتيقة مثل زاوية فريحة، وزاوية "أَقْلَمِيم"، ومقام سيدي الصادق بوقبرين، وسيدي الحسين وانو (الحسين الورثلاني صاحب الرحلة)، و"يَمَّا تَاكْلَيْث وَزُرُو"، و"تَسَطُّوَا لَأُولِيَا"، وسيدي علي.

وقد أشاد النابغة محمد البشير الإبراهيمي كذلك بالنظام الاجتماعي للإقليم وقال أنه لم يطرقه دخيل منذ دخل الإسلام وكله متساند على حماية الدين والعرض والأخلاق والمال في نظام ذي نزعة جمهورية، يقوم بتنفيذه في كل قرية جماعة منتخبون من أهل الفضل والعقل والعدل، ويسمونهم العقلاء أو الأمناء وأن هؤلاء الأمناء يجتمعون كل يوم ثلاثاء لدرء المفسد وجلب المصالح، فلا يلم بالقرية شر ولا تنجم فيها بدعة، ولا يقع اعتداء من شخص على شخص وإذا وقع شيء من هذا تبادر الجماعة والعقلاء بالصّلاح أو بالحسم أو بالعقاب، ولهم في ذلك أحكام نافذة السلطة تقوم بالمصلحة ولا تجافي أحكام الدين، ولا تدع المجال لندخل الحكومة الاستعمارية وأعوانها.

ويضيف الإبراهيمي في شهادته أنه في قرى هذا الإقليم السالم يتزوج الرجل الصّالح بالمرأة الصّالحة فيلدان الولد الأصّح، وهو ما يجعل الطفل يتقلّب بين أحضان الصّالحين وجحور

الصّالحات، ويرجع إلى طفولة طاهرة رائدة تحرسها أعين المجتمع كله، وهو ما يؤهّله ويرشّحه أن يكون مثالا للإنسان الكامل¹.

وفي المجال الاقتصادي مارس سكان الإقليم النشاط الزراعي والفلاحي وتربية المواشي وساعدهم على ذلك وفرة التساقط من أمطار وثلوج، واعتدال المناخ نسبيا وتعرّض الإقليم للمؤثرات البحرية ووجود وادي بوسلام الذي ساعد على سقي المزروعات والمحاصيل، حيث اشتهر الإقليم بإنتاج الفواكه والخضر بأنواعها والإنتاج الحيواني كالألبان والأصواف والجلود، وكانت التجارة تتم بمقايضة المنتجات المحلية مع منتجات الأقاليم المجاورة مثل فرعون، وادي أميزور، حوض الصومام، إلماين، ثاموقرة، خليل، وتصل أحيانا إلى الأقاليم البعيدة مثل: العلمة وسطيف وبجاية وقسنطينة وعنابة، ويتم ذلك في سوق الجمعة الأسبوعي الذي يعد من أهم الأسواق في الإقليم وكان موجودا منذ الفترة العثمانية وربما قبلها².

وقد أدّت ضغوط أعوان الإدارة الاستعمارية وتجاوزاتهم في الإقليم إلى هجرة العديد من سكان قراه نحو الأقاليم المجاورة ونحو المدن داخل الجزائر ونحو فرنسا والمشرق العربي، خاصة بعد فشل ثورة بوبغلة وثورة المقراني والشيخ الحداد التي شارك فيها سكان الإقليم بقوة. فتعرّضوا للبطش والتنكيل والعقاب الجماعي ومصادرة الممتلكات وتخريبها وتحوّلت العديد من قراه إلى أطلال مهجورة، وأصبحت أراضيها الزراعية بورا.

أما النشاط الحرفي والتجاري، فالأول كان يقتصر على الأنشطة التقليدية مثل المنسوجات الصوفية كالبرانس والزراي، والأدوات المنزلية والفلاحية، والثاني على مقايضة المنتجات النباتية والحيوانية مع الأقاليم المجاورة وخاصة الفواكه بأنواعها من عنب ورمّان وإجاص وبطيخ وتين وزيتون وبلوط وخروب وغيرها.

2- توسّع الاحتلال الفرنسي في الإقليم:

1.2- حملة الجنرال دو بارال: بعد احتلال الجيش الفرنسي لكل من مدينتي بجاية وسطيف أصدرت السلطات الاستعمارية قرارا يقضي بإلحاق بجاية بسطيف وعملت على ربطهما بطريق بري فوجّهت حملة عسكرية مكوّنة من فيلقين من الزواف (الزواوة) غادرا مدينة البليدة يوم

1- محمد البشير الإبراهيمي - المرجع السابق - ص 150.

2 - محمد البشير الإبراهيمي - نفسه - ص 150، 151.

16 أبريل 1850م باتجاه مدينة سطيف عبر سور الغزلان، وفي هذه الأخيرة انضم إليهما الفيالق رقم 51 بقيادة العقيد دو لورميل (le Colonel de Lourmel)، وفي يوم 27 أبريل 1850م وصلت الحملة إلى مدينة سطيف وأقامت فيها مدة 13 يوما حيث غادرتها يوم 9 ماي، وقد انضمت إليها فيالق وفرق جديدة من المشاة والمدفعية والقناصة والهندسة العسكرية تحت قيادة الفريق (الجنرال) دو بارال (le Général de Barral) وشرعت في شق الطريق البري متبّعة نفس مسار ومسلك الطريق الروماني القديم تقريبا.

وكان من بين المرافقين للحملة المستشرق الفرنسي الدكتور لوسيان لكرك (Lucien Leclerc)¹، الذي كتب عن تفاصيل هذه الحملة مقالة في المجلة الإفريقية (Revue Africaine) وصف فيها بدقة متناهية مظاهر السطح والتضاريس الجغرافية للإقليم الذي عبره الطريق من سطيف إلى بني ورتلان التي وصلوها يوم 13 ماي، ومن بين ما ذكره عنه أسماء بعض الجبال مثل: بوعنداس، كنديرة، تَقْنُطُوشْ، ديرة، أَزْرُو يَفْلَانْ، وأسماء بعض الأعراس مثل: إغْبُولِيَانْ (بني غبولة)، إيث براهيم (بني براهيم)، وبعض القرى مثل: فانتِكَلْت، إغيل أَوْفَلَا، ثَغْلَتْ تَنَاقُويْن، لُقَاعْ وَزْرُو، آنو، إغيل نايت مالك، تِيزِي وَطُو، تَلْمَاتْ، إِعْرَاصِيَانْ (عَرَّاصَة)، أَفْنِي قَطْرَانْ (ثالة قطران)².

2.2 الطبيب المستشرق لوسيان لكرك يتحدث عن بني ورتلان: في القسم الثاني من مقاله أسهب الكاتب في الحديث عن تركيبة السطح ومظاهر التضاريس ومصادر المياه ومكونات الغطاء النباتي، فذكر من الأودية وادي بوسلام، وادي حريرة، وادي برازة، وادي إلمين، ومن المرتفعات الجبلية ذكر جبل أَزْرُو يَفْلَانْ، جبل غبولة، جبل المرباط علي، وتكلّم عن أنواع الغلال المزروعة من قمح وشعير، وأشجار الفواكه من تين وخوخ ورمان ومشمش وسفرجل

1- Lucien Leclerc (1816- 1893م): طبيب، مستشرق فرنسي، مهتم بدراسة الآثار والتاريخ، ألف عدة كتب وترجم كتب التراث والطب من العربية إلى الفرنسية، وقد ذكر "لكرك" أنه سينشر بقية حلقات المقال ولكن بعد فرزنا وتصفحنا الأعداد اللاحقة من "المجلة الإفريقية" لم نعث على تنمة المقال وهو ما حرمانا من معرفة تفاصيل أخرى عن هذه الحملة. للمزيد أنظر: data.bnf.fr

2- Lucien Leclerc- Campagne de Kabylie en 1850 Route de Sétif à Bougie- Revue Africaine- N° 04- A. Jourdan- Libraire- Editeur- Alger- (1859- 1860) - p 426.

وجوز وعنب وخروب وزيتون وتّفاح، ومن الأشجار غير المثمرة ذكر الصفصاف والدردار، وقال بأن المنتجات الزراعية تكفي للاستهلاك المحلي ويُصدّر زيت الزيتون لوجود فائض في إنتاجه¹.

وأضاق يقول بأن قبيلة بني ورتلان كانت تتكوّن آنذاك من نحو 15 قرية منها التي ذكرها في القسم الأول من مقاله، بالإضافة إلى القرى التالية: بُوَيْرْكَ، بني عشاش (إيث عشاش)، إغيل لَكْرِيم، ثُوَيْرْث، إغْلَدَان، تَزْزَيْت، الغرس، بني حافظ (إيث حافظ)، عباد الشريف، تَعُونِين، أَمْدُون، إغيل وَاعْبَالَا، ثُقْرَائُونُوث، أَقْمُون، وأن كل قرية تحتوي على نحو 30 منزلا، وهي حسنة البناء ومطلية بالجير الأبيض، فيها ساحة وعشة فوق الطابق الأرضي، وتوجد أفران الجير منها ثلاثة قرب خيمته في قرية عَرَاَصَة، ثم وصف بعض المساجد الموجودة في القرى وأهمها مسجد بابا حمزة الذي شيد في مكان معزول بين جبل أَرْزُو يَفْلَانْ وجبل المرباط علي، والذي بُني قبل ثلاث سنوات تقريبا (1847م) وبالقرب منه توجد عين ماء لم يذكر اسمها².

أما سكّان المنطقة فقال عنهم أن معظمهم لا يتكلّمون العربية (يقصد يتكلّمون القبائلية)، ويعتمدون في معيشتهم على حرفة عصر الزيتون، ووصف بإسهاب مكونات وأجزاء معاصر الزيتون التقليدية وكيفية اشتغالها أثناء عملية العصر، وذكر أن سكّان قرية عَرَاَصَة قد فرّوا من الحملة لأنها خيّمت قرب مساكنهم، وكذلك سكّان قرية تَزْزَيْت، وأن قرية ثُوَيْرْث رفضت الخضوع للفرنسيين فبعثوا إليها فيلقين من القوات وقاموا بإحراقها، وجلب الجنود منها إلى الكاتب نحو 20 صفحة كبيرة الحجم من مخطوط بالعربية تبين له فيما بعد أنه مختصر خليل في الفقه المالكي³.

وقال الكاتب أنه خلال اللَّيلة الأخيرة من إقامة الفرنسيين في المنطقة أطلق سكان قرية تَزْزَيْت طلقات نارية على مخيمهم أدت إلى جرح جندي زواوي من الفيلق الأول، واعتبر الحادث بمثابة انتقام وردّ فعل من سكان القرية على عملية الحرق والإخضاع، مُلاحظا أن الأمازيغ (القبائل) يمتازون برفض الخضوع لنير الأجنبي (الفرنسي)، ثم سرد تفاصيل الحوار الهام الذي أجراه في قرية تَأْمَاتْ مع طالها (معلّمها) المدعو يوسف بن غانم، وخلالها سأل "لكلرك"

1- Lucien Leclerc- Campagne de Kabylie en 1850 les Beni Ourtilan- 2° Article- Revue Africaine- N° 05- A. Jourdan- Libraire- Editeur- Alger- 1861- p41.

2- Lucien Leclerc- Ibid - p43.

3- Lucien Leclerc- Ibid - p45.

محاورة عن وجود الكتب والمخطوطات لشرائها، وردّ يوسف عليه مستفسرا عن غرضه من ذلك فأجاب "لكرك" أنه يريد التعرّف من خلالها على تاريخ العرب (الجزائريين) ودينهم، وأراد طمأنته فقال له أنه يملك نسخة من القرآن الكريم في حقيبته ويقرؤها، فسأله يوسف: هل أنت مؤمن؟ فأجاب "لكرك": لا. ولكن رغم ذلك طلب منه أن ينطق بالشهادتين مرارا، فنطق بشهادة التوحيد فقط، فعلق عليه يوسف بقوله: إن المسيحيين يعتقدون أن عيسى عليه السلام هو آخر نبي ولذلك لا يؤمنون بمحمد (ص).

وطلب "لكرك" من يوسف أن يكتب له أسماء قرى بني ورتلان وما جاورها باللغة العربية، وأعاد عليه الطلب مرارا لكنه لم يستجب لطلبه. ووعد "لكرك" في نهاية مقالته أنه سيكتب في القسم الثالث منها عن موضوع أهم صناعة حرفية في بني ورتلان وهي صناعة البرنوس، الذي صنّفه في المرتبة الثانية بعد برنوس منطقة بني عباس (قلعة آث عباس) في حوض الصومام¹.

3.2 حملة العقيد شارل لويس فيرو: قامت السلطات الاستعمارية الفرنسية بتوجيه حملة عسكرية ثانية ذات طابع استكشافي إلى إقليم بني ورتلان ربما لتحقيق هدف مكمل للحملة الأولى-حسب اعتقادنا- قادها العقيد شارل لويس فيرو (Charles Louis Féraud)² قصد استكشاف مجرى وادي الصومام ورافده وادي بوسلام لدراسة إمكانية إقامة طريق مائي يربط بين مدينتي سطيف وبجاية - استكمالا لمشروع الحملة الأولى المتمثل في ربطهما بواسطة طريق بري أو دعما له -، وخرجت الحملة من مدينة بجاية يوم 12 يناير 1854م، ووصلت إلى بني شبانة وبني معوش يوم 27 من نفس الشهر، ودارت عبر مدينة سطيف لتعود إلى مدينة بجاية يوم 03 فبراير من نفس السنة، وخلال مرورها بالإقليم ذكر قائدها "فيرو" أسماء بعض القرى الواقعة على ضفتي وادي بوسلام منها قرية فريحة، وثالة إعطّارن، وبُويركْ وأَقْمُونْ نَاتْ مُوَحْلِي وقد أمضوا في هاتين الأخيرتين ليلتهم، وأولاد علي أوعثمان، وبروة، ولعزيب إغس، وهذه القرى

1- Lucien Leclerc- Op Cit - p47.

2 - شارل لويس فيرو (Charles Louis Féraud) (1806- 1878م): عسكري، دبلوماسي، مترجم عسكري، مهتم بموضوع الغناء الشعبي الجزائري، له عدة مؤلفات ونحو مائة مقالة نشرها في المجلة الإفريقية وحدها حول تاريخ الجزائر. للمزيد انظر: data.bnf.fr

الثلاثة الأخيرة اندثرت فيما بعد ولا نعرف لها أثر، وفي ختام رحلته اكتفى بالقول إنه قدّم تقريراً إلى حاكم بجاية حول مهمته دون ذكر أية تفاصيل عن محتوى التقرير¹.

3- نماذج من أساليب السياسة الفرنسية للسيطرة على الإقليم

1.3- تسليط القيادة على السكان: تعرّض إقليم بني ورتلان والمناطق المجاورة له إلى عدة حملات عسكرية قصد إخضاعه والقضاء على المقاومات الشعبية المسلّحة التي قامت فيه خلال سنوات 1847، 1850، 1854، 1857، 1871م، إلّا أن السلطات الاستعمارية لم تفرض سيطرتها الميدانية عليه بل اعتمدت على استمالة بعض القبائل عن طريق الامتيازات والمناصب، واختارت من زعمائها ورؤسائها شخصيات محلية عيّنتها في مناصب إدارية بصلاحيات واسعة كممثلة للسلطة الاستعمارية الفرنسية في الإقليم، والتي ينحدر معظمها من عائلة "بن عبيد" التي هاجرت من خميس مليانة (عين الدفلى) في زمن غير معروف واستقر فرعها الناطق بالعربية في "ماوكلان" وفرعها الثاني الناطق بالقبائلية في بني ورتلان وضواحيها حسب السلطات الفرنسية.

ومن أقدم وأشهر القياد الذين اعتمدت عليهم سلطات الاحتلال نجد القايد بوزيد بن عبيد (1827-1911م) ابن الحاج شريف بن ساسي بن عبيد، المولود في ماوكلان (سطيف)، الذي عيّنته السلطات العسكرية الفرنسية على رأس فرق القومية في الحملات العسكرية التي استهدفت إخضاع منطقة القبائل عموماً وإقليم بني ورتلان خصوصاً وهي: حملة الماريشال سانت آرنو (Saint- Arnaud) ضد قبيلة بني سليمان (بوعنداس)، سنة 1849م، حملة الجنرال دو بارال (de Barral) ضد قبيلة بني يمل، سنة 1850م، حملة العقيد دو لورمال (de Lourmel) سنة 1850م، حملة الجنرال كامو (Camou) سنة 1851م، حملة الجنرال بوسكي (Bosquet) سنة 1853م، حملة الجنرال أوجيرو (Augereau) سنة 1865م، حملة الجنرال سوسي (Saussier) سنة 1871م².

1- Charles Louis Féraud- Exploration Nautique de la Soummam et du Bousellam dans la Grande Kabylie- Revue Africaine- N° 01- A. Jourdan- Libraire- Editeur- Alger- 1854- p 322.

2 - G. Belval- Encyclopédie Contemporaine- in (A.D.P) - (G.G.A) - 19 H /58.

تولى منصب قائد بني شبانة منذ 01 أفريل 1869 م خلفا لأخيه المتوفى القائد عبيد، ثم قائد بني سليمان (بوعنداس) منذ 10 جوان 1872 م باختيار من السلطة العليا لاستعادة الهدوء في هذه القبيلة المستعصية على الإدارة، ثم قائد بني ورتلان منذ 19 أكتوبر 1875 م باختيار من السلطة العسكرية. قلّدتة فرنسا عدة أوسمة أولها وسام فارس جوقة الشرف في 04/11/1869 م، آخرها وسام النجمة السوداء. وعندما توفي حضر مراسيم جنازته حاكم بلدية قرقور المختلطة وألقى خطابا نوّه فيه بخصاله ومساره المشرف¹.

كان هذا موقف السلطات الاستعمارية من القايد بوزيد بن عبيد بسبب إخلاصه وتفانيه في خدمتها، أما موقف سكان المنطقة منه فكان مختلفا بسبب سوء معاملته لهم واحتقارهم وتعدّيه المتكرّر على ممتلكاتهم واتباع سياسة القسوة والشدة تجاههم، وإخلاصه وتبعيته للسلطات الاستعمارية وتنفيذه لخططها، وهو ما دفع ممثلي ورؤساء جماعات القرى في بني ورتلان إلى تقديم عدة شكاوى ضدّه إلى السلطات الاستعمارية.

منها شكوى بتاريخ 01/11/1896 م قدّمها مجموعة من ممثلي قرى بني ورتلان وهم: خوجة قاسم بن خوجة ممثّل قرية ثالمات، أمريج محمد أمزيان بن لخضر ممثّل قرية ثيعوينين، بليل علي بن محمد، حاج عمر بليل بن عمر، بن عباس عباس بن حمود، ممثّلين عن قرية عراضة، شنوني سعيد بن محمد ممثّل قرية أورير، بزطوط بوسعيد بن بزطوط، موسلي الطاهر بن عمار ممثّل قرية إغلدان. ذكروا فيها المظالم والتعديات والتجاوزات التي يرتكبها القايد بوزيد بن عبيد في حق السكان منها:

استخلاص كميات من حب الزيتون وزيته خلال موسم جنيه وعصره، والتعسف في فرض الغرامة على الناس لتسديد مبلغ الحراسة في جبل دلافة، واستخلاص رسم وليمة الزواج والختان لصالحه بدلا من الخزناجي، وانتهاك أولاده لحرمة السكان ودخولهم إلى بيوتهم دون استئذان وترصدّهم للنساء في أزقة القرية وفي عيون الماء².

وقد ذكروا العديد من المناكر في رسالتهم المكوّنة من صفحتين كاملتين والتي أكّدوا فيها للحاكم العام الفرنسي جول كامبون (Jules Cambon) أن الدولة الفرنسية لا ترضى بهذا

1- G. Belval- Ibid - 19 H /58.

2- G. Belval- Op Cit- 19 H /58.

الضرر المبين، وأنهم في كل عام يهيمون بتوجيه الشكوى ضد القايد المذكور ثم يترددون خوفا من عدم قبولها، لأن ابن القايد السيد عمر (عمّار)¹ يعمل لدى حاكم القرقور ويعاقب كل من رفع شكاية ضد والده بالسجن والغرامة، ولكنهم نظرا لزيادة الضرر في هذه السنة قرّروا رفع الشكاية أملا في رفع الظلم والجور الذي سلّطه عليهم، وهم متخوفون من العقاب الشديد الذي سيسلّطه عليهم إذا لم يقبل الحاكم العام شكواهم، ورجوه في آخر الرسالة على أن يكون تحديد الغرامة (اللزمة) عليهم من طرف الخزناجي كما ينص عليه القانون وليس من طرف القايد².

لقد ساهم هؤلاء القياد في تثبيت وتمكين سلطة الاحتلال سرا وعلانية في إقليم وبني ورتلان وما جاوره وهم يظهرون بوجهين واحد مع الثوار والمقاومين والثاني مع الاحتلال، وفي هذا الصدد قال سي عزيز بن الشيخ الحداد أحد أبرز قادة ثورة 1871 م ما يلي: "إن هؤلاء القياد غشاشون ومخادعون، وقد كانوا متمركزين في نواحي بني يعلى وبني ورتلان وبني موحلي وبوقاعة، وهم على اتصال دائم بحاكمي سطيف وبجاية (الفرنسيين) لإظهار الولاء الخالص والتفاني في خدمة الإدارة الفرنسية لانتزاع رضاها والحصول على تنازلات مادية في الأقاليم التي يمثلونها"³.

2.3- تقسيم قبيلة بني ورتلان إلى دواوين: تطبيقا لمواد وبندو القانون المشيخي الأول 1863 م والثاني 1887 م القاضي بتقسيم أراضي قبيلة بني ورتلان إلى دواوين وهما: دوار بني ورتلان ودوار ثُقْنائين، قصد إضعافها وتسهيل السيطرة عليها وتعيين قائد آخر على الدوار الجديد يكون منافسا وخصما للقياد الأول حتى تنشب بينهما الخلافات والصراعات التي تساهم في نشر العداوة والانقسام والتفكك والضعف بين السكان، وقد شعر سكان القبيلة المذكورة بالخطر

1 - بن عبيد عمار بن بوزيد المعروف باسم القايد اعمر: درس في ثانوية سطيف عام 1875 م على نفقة الجنرال بريسول (Brissol) قائد المقاطعة الإدارية بسطيف، ثم في ثانوية قسنطينة على نفقة الجنرال ألفريد شانزي (Chanzy Alfred) الذي أصبح حاكما عاما على الجزائر (1873-1879 م)، في 1870 م عُيّن في منصب خوجة مترجم في بلدية قرقور المختلطة، خلفا للسيد بودرجور بلمي، ثم نائب أهلي لدوار بني معوش 1891 م خلفا للسيد حجوط سعيد بن عبد الله حتى أوت 1907 م حيث خلف والده على رأس قبيلة بني ورتلان... للمزيد أنظر:

2- G. Belval- Op Cit- 19 H /58.

2- يحي بوعزيز- وصايا الشيخ الحداد ومذكرات ابنه سي عزيز- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- 1980 م- ص 125.

الكبير والتهديد الذي يمثلُه هذا القرار عليهم في المجال الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، وقدّموا عدة شكايات وعرائض إلى السلطات الاستعمارية بيّنوا فيها بالحجة والدليل مخاطر وسلبات هذا القرار وطالبوا بعدم تطبيقه.

1.2.3- شكاية مشتركة بين عرش بني ورتلان وعرش بني يعلى: حُرّرت هذه الشكاية أو العريضة بتاريخ 15 أفريل 1891م من طرف أعضاء جماعات عرش بني ورتلان و أعضاء جماعات عرش بني يعلى الذين حرّروا أسماءهم وتوقيعاتهم وعددهم 09 ممثّلين عن عرش بني يعلى و 11 ممثّلا عن عرش بني ورتلان، موجّهة إلى السيد الكميسار (المحافظ) الحاكم بقسم قرقور، حول موضوع تحديد وتعليم الحدود التي تفصل بين العرشين المذكورين، مذكّرين إيّاه بموافقتهم وموافقتهم بحضور السيد الجيومتر (التقني الممتر) على ذلك التحديد وعلى إعفاء من له أملاك في غير العرش الذي يقيم فيه من دفع الضريبة مرتين، وأنّ تداخل الأملاك لسكان العرشين المتجاورين أمر طبيعي ومعتاد فيما بينهم وهم متّحدين ومتعاونين ومتعايشين بحكم علاقات المصاهرة والجوار التي تربط بينهم، راجين منه احترام هذه الخصوصيات والمميزات وعدم الإخلال بها حتى تزول الشكوك وتعم الطمأنينة ويسود الهدوء والأمن بين سكان العرشين المتجاورين¹.

وتدل هذه الشكاية أو العريضة المشتركة بين العرشين على متانة وعمق روابط الأخوة وحسن الجوار وأواصر التلاحم والاتحاد التي تربط سكان القرى في هذه الرقعة الجغرافية الريفية من منطقة القبائل الصغرى التي وجدت الإدارة الاستعمارية صعوبات كبيرة في إخضاع سكانها وفرض سلطتها عليهم رغم إجراءاتها القمعية والتعسّفية، فلجأت إلى سياسة التفرقة والتقسيم حتى تفصل الإنسان عن أرضه وعن مجتمعه داخل القرية الواحدة والعرش الواحد، ثم تقضي على الملكية الجماعية لأراضي العرش وتعوّضها بالملكية الفردية فيتلاشى الإحساس والشعور والتفكير الجماعي والوحدوي والتضامني لدى الفرد تدريجيا حتى يزول وتظهر الأنانية والفردية والمصلحة الشخصية والمنفعة المادية التي تتوافق مع فكر وعقلية الاحتلال الفرنسي وأعوّاه.

1- Archives de la Cadastre de Sétif- Rapport de Sénatus Consulte de la Tribu des Beni Yala- N 92-1890- p53.

2.2.3- عريضة جماعة بني ورتلان إلى عامل عمالة قسنطينة: تم تحريرها في أبريل 1892م من قبل أعضاء جماعة بني ورتلان وكُتبت باللغة العربية الفصحى وتتكوّن من أربع فقرات، الفقرة الأولى عبارة عن تمهيد ذكروا فيه انحدار سكان القبيلة كلّهم من جدّ واحد وانتسابهم إليه وهو "ورتلان" وأهمّ متّحدون ومتعاونون وأنّ مصالحتهم تكمن في بقائهم على حالتهم التي كانوا عليها منذ عهود وقرون، وهو دليل على تمسّكهم بالوحدة القبلية والتضامن والتكافل الاجتماعي ورفضهم للتقسيم والتفتيت والتشتّت والتشرذم الذي يريد الاحتلال فرضه عليهم. الفقرة الثانية حدّروا فيها المسؤول الأول عن مقاطعة قسنطينة أي عامل العمالة من مخاطر وتداعيات تقسيم قبيلة بني ورتلان إلى دواوين، منها ظهور النزاع حول ملكية الأرض واستغلال أشجار الزيتون التي تشكّل المورد الرئيسي للسكان وكذلك المراعي، وهو ما يؤدي إلى نشوب النزاع والشقاق بين سكان القبيلة الواحدة. وفي الفقرة الثالثة أوضحوا أنّ الغرامات التي كان يدفعها سكان القبيلة وهي موحّدة تعتبر فادحة، وفي حالة تقسيمها ستتضاعف مما يؤدي على إفلاس السكان وإفقارهم الأمر الذي يزيد من معاناتهم.¹

وفي الفقرة الرابعة بيّنوا أنّ قرار التقسيم لا يستند إلى حجة مقنعة إذ أنّ كثرة عدد سكان قبيلتهم لا يستلزم تقسيمها بدليل وجود قبائل أخرى مثلها في العدد أو تزيد لم يفرض عليها التقسيم، كما أنّ مداخل سكان قبيلتهم قليلة نظرا للطبيعة الجبلية للإقليم. وفي الفقرة الخامسة والأخيرة طالبوا بضرورة إبقاء القبيلة تحت سلطة القايد بوزيد بن عبيد وعدم تعيين قايد جديد عليهم في حالة عدم الاستجابة لطلبهم بعدم التقسيم، باعتباره امتاز بصفات المشيخة وكان يرفق بهم ويحرص على مصالحهم.²

رغم أنّ قرار التقسيم بقي مجمّدا وتأجّل تنفيذه لعدة سنوات كانت كافية للسلطات الاستعمارية كي تتداول في هذا الموضوع وتبحثه من كل جوانبه، وتنظر في محتوى الشكايات أو العرائض المتنوعة التي تلقّتها من جماعات عرش بني ورتلان وعرش بني يعلى والقايد بوزيد بن عبيد، ولكن ربما شغلها أمور أخرى أكثر أهمية بالنسبة لها مثل موضوع تليقب العائلات الذي

1- عبد الغفور نصر الدين- المقاومة السلمية بالعرائض والشكايات : قبائل بني ورتلان وبني يعلى وقرقر (سطيف) 1840- 1900م أنموذجا- مجلة عصور الجديدة- ع1- مخبر تاريخ الجزائر- جامعة وهران1- 2023م- ص 319.

2- عبد الغفور نصر الدين- المرجع السابق- ص 319، 320.

تزامن مع فترة تقديم هذه الشكايات أو العرائض الفردية منها والجماعية، وقد رفضت السلطات الاستعمارية المطلب الأساسي المتمثل في عدم التقسيم، وأقرت التقسيم وعيّنت من ينقذه في الميدان، فأرسلت نائب حاكم بلدية قرقور المختلطة السيد فيفادر (Figadres) رفقة محافظ رسم الحدود السيد ميشال (Michel) لتنفيذ قرار التقسيم، وعقدا اجتماعا مع أعضاء جماعة قبيلة بني ورتلان والقايد في 21 أفريل 1896 م، وقد عارض القايد بوزيد بن عبيد القرار وفضل عدم تقسيم القبيلة حتى يبقى هو الرجل الأول والوحيد الذي له سلطة الأمر والنهي والسيطرة والنفوذ ولا ينافسه أحد في قيادة القبيلة.¹

ولم يقتصر موقف القايد المذكور على المعارضة الشفوية والعينية بل ذهب بعيدا في ذلك وتجاوزت معارضته حدود ومجال السلطات المحلية والإقليمية والجهوية المتمثلة في سلطة الحاكم المدني لبلدية قرقور المختلطة ودائرة بجاية وسطيف وعمالة قسنطينة لتصل إلى دوائر الحكومة العامة بالعاصمة، وهو ما يدل على نفوذه وعلاقاته الشخصية وحجم وقيمة الخدمات التي قدّمها للسلطات الاستعمارية العليا. فقد وجّه رسالة في الموضوع إلى الحاكم العام الفرنسي جول كامبون (Jules Cambon) رأسا يوم 28 أفريل 1896 م عارض فيها تقسيم القبيلة التي يحكمها إلى دواوين لأنه يؤدي إلى إنقاص وتقلص المناطق والمساحات والأنفس التي كانت تحت يديه، في الوقت الذي كان ينتظر من السلطات الاستعمارية مكافأته على سيرته الحميدة مع رجال دولتها بالنصح في الخدمة معها وصفاء السريرة، مبينا أنه خدم الدولة الفرنسية مدة 48 سنة وخاصة دوره الفعّال خلال ثورة 1871 م.

وأضاف في رسالته إلى الحاكم العام أن الدولة الفرنسية أنعمت بمناصب وأموال وأراض على أمثاله ممن خدموها مكافأة لهم، ولم يقصّر هو في شيء حتى لا ينال المكافأة مثلهم، واستغرب لماذا لا تترك له الدولة قبيلته على حالتها دون تقسيم مبينا له أن كثرة الأنفس فيها ليست حجة لأن أغلبهم ضعفاء ولا يستطيعون دفع الغرامة، كما أن الحاكم العام سبق أن

1 - عبد الغفور نصر الدين- نفسه- ص 320.

أمر بعدم تقسيمها وتركها على حالتها يوم ورود القسمة لدواوير بلدة القرقور، ثم أضاف له مبررات أخرى مثل كبر سنّه وكثرة عياله، وختم رسالته بوضع خاتمه وتوقيعه¹.

لا نعلم هل ردّ الحاكم العام الفرنسي على رسالة القايد بوزيد بن عبيد وكيف كان رده هل سلبيا أم إيجابيا، ولكن يبدو أن الرد كان سلبيا أو غير مقنع وهو ما يفسر الإجراء الموالي الذي قام به القايد المذكور للمحافظة على منصبه في حالة تنفيذ قرار تقسيم القبيلة إلى دواوين، والمتمثل في طلبه من عامل عمالة قسنطينة الترخيص له بالغياب لمدة أسبوع للسفر إلى مدينة الجزائر في سبتمبر من نفس السنة قصد مقابلة الحاكم العام شخصيا وشرح وجهة نظره له، وقد ساندته في هذا الطرح السيد نائب العامل (حاكم بجاية) وأيد بقاءه في منصبه كقائد على القبيلة بدواويرها².

بعد مرور عامين على هذه الشكاية والمساعي التي قام بها القايد بوزيد بن عبيد شخصيا لدى الحاكم العام الفرنسي في الجزائر، وجّه رؤساء جماعة عرش بني ورتلان شكاية أخرى بتاريخ 22 نوفمبر 1898م ردا على قرار السلطات بتنفيذ التقسيم، واعتبروه غير سديد نظرا لتداخل الملكيات واتحاد الطرق واتصال القرى مما يؤدي إلى زوال الاتحاد والتوافق، وظهور الشقاق والنزاع بين سكان الدواوين، وأكدوا على مطلبهم السابق بضرورة الإبقاء على نفس القايد وعدم تعيين قايد جديد على الدوار الثاني. هذه الشكاية تدل على إصرار ممثلي سكان هذا العرش أو القبيلة على التشبّث بحقوقهم الطبيعية المشروعة واستماتتهم في المطالبة بها مرارا وتكرارا، رغم علمهم أن السلطات الاستعمارية لا يهتمها إلا مصالحها، لكنهم لم يستسلموا للأمر الواقع وواضبوا على المقاومة السلمية المنظمة بفضل وعيمهم ووطنيتهم وتفانيهم في النضال.

وببدو أن القايد بوزيد بن عبيد كسب الرهان ونجح في مهمته لدى الحاكم العام بدليل احتفاظه بمنصبه كقايد وحيد على قبيلة بني ورتلان بعد تطبيق قرار تقسيمها إلى دواوين، حيث نال في هذه الفترة المزيد من الأوسمة والميداليات التشريفية، ومنحه الحاكم العام شارل

1- A.D.P- G.G.A- 19 H /58.

2- Ibid- 19 H/58.

جونار (Charles Jonnart) شخصيا منصب آغا شرفي جزاء صدقه وإخلاصه للدولة الفرنسية حسبما جاء في رسالة رسمية وجهها إليه محررة بالجزائر العاصمة في نوفمبر سنة 1903.¹

1.3.3- تلقيب العائلات: في إطار تطبيق قانون الحالة المدنية الصادر في 23 مارس 1882م تم تشكيل لجنة مختصة في مدينة قسنطينة انتقلت إلى قرى إقليم بني ورتلان عام 1891م رافقها القايد بوزيد بن عبيد ووضعت ألقابا للعائلات واتبعت في عملها اقتراح الألقاب حسب الترتيب الأبجدي أو الأبجدي للغة الفرنسية من ألف إلى ياء (de A à Z)، ولا نعلم كيف كان موقف القايد المذكور من هذه العملية وما هو الدور الذي قام به، وهل كان دورا سلبيا أم إيجابيا، وبعد اطلاعنا على السجل الأصلي الذي يحتوي على الألقاب العائلية لبلدية بني ورتلان كعينة خرجنا بالملاحظات التالية:

- الصنف الأول من الألقاب المستمدة من اسم الجد الأول للعائلة هي التي تشكل نسبة الأغلبية من مجموع الألقاب وهي تبدأ ب "أيت" مثل أيت جعفر، أو ب "أو" مثل أوتمون، أو ب "نايت" مثل نايت يحي، أو ب "إ" مثل إبلعيدن، هذا في صيغتها الأمازيغية (القبايلية)، أما في صيغتها العربية فإنها تكون مسبوقة ب "بن" مثل بن عباس، أو بحرف الباء وحده "ب" مع حذف الألف الأولى من الاسم مثل بلمهدي، وقامت الإدارة الاستعمارية بتقسيم العائلة التي تنحدر من جد واحد إلى مجموعة من العائلات، حتى تُضعفها وتمنع وحدتها وتقضي على تماسكها وتُضعفها لسلطتها وتقلل من عدد أفرادها، ولم تكتف بذلك بل نشرت فيما بينها حساسيات ومنافسات وخلافات حول الأملاك والمساكن التي كانت مشتركة وتوجد في قرية واحدة ورقعة جغرافية واحدة، ثم صارت مشتتة ومتفرقة بين عدة قرى وأعراش ودواوير ومناطق، بسبب هجرة تلك العائلات لموطنها الأول أي الأصلي اضطراريا وقسرا هروبا من حياة الصراع والشقاق.²

ومن الأمثلة على ذلك عائلة أيت بعزیز التي قُسمت إلى خمس عائلات وهي: أيت بعزیز، أو بعزیز، بن بعزیز، بعزیز، إبعزیزن، وقد توزعت هذه العائلات على القرى التالية: إغيل علي، الغرس، الجمعة، ألمایسان، وبمرور الزمن تلاشت تدريجيا روابط وأواصر القرابة فيما بينها

1- Op.Cit- 19 H/58.

2- عبد النور أيت بعزیز- قراءة في ألقاب عائلات بني ورتلان دلالات وأبعاد- مجلة المسار- السنة 19- ع 56- مركز التراث والبحوث الیمني- صنعاء- الیمن- 2018م- ص 174.

حتى انقطعت، وأصبح الأفراد المنحدرين منها لا يكادون يعرفون شيئا عن بعضهم البعض سوى مجرد تشابه في اللَّقب لا غير!¹

الصنف الثاني من الألقاب مأخوذة من أسماء القبائل والأعراش والدواوير، وتعتبر أسماء القبائل والأعراش من التسميات الأكثر قدما وعراقة وأصاله في المنطقة ولذلك تم اتخاذها كألقاب للعائلات تأكيداً على ارتباط وتمسك السكان بأصالتهم وانتمايتهم لوطنهم وتعلقهم به، ومن الأمثلة على ذلك نذكر الألقاب التالية: عفيفي نسبة لعرش بني عفيف (إيث عفيف)، عيدلي نسبة لعرش بني عيدل (إيث عيدل)، أيت فرقان نسبة لعرش بني فرقان (إيث فرقان)، أمعوشي نسبة لعرش بني معوش (إيث معوش)، أيت زواوة نسبة لقبيلة زواوة، بن مزيت نسبة لعرش مزيتة (إمازين)، حربيل نسبة لعرش حربيل، إجر نسبة لعرش آث يجّر، مع الملاحظة هنا أن العديد من تسميات الأعراش والقبائل المذكورة توجد خارج حدود الإقليم حاليا، وهو ما يعني أن الحاملين لهذه الألقاب هاجروا من تلك المناطق واستقروا في الإقليم، وهو دليل آخر على مدى تمسكهم وارتباطهم وتعلقهم بمسقط رأسهم وموطنهم الأول.

الصنف الثالث من الألقاب مأخوذة من أسماء الحقول والأودية والمياه وأشكال السطح، وقد ارتبط الإنسان في كل مكان وزمان أشد الارتباط بالأرض واتخذ من أماكن تواجد الماء مستقرا له إذ شيد المساكن والقرى بالقرب من الأودية والينابيع، كما اهتم بتسمية مظاهر السطح وأشكال التضاريس من مرتفعات ومنخفضات وغيرها، ومن الأمثلة على ذلك نذكر الألقاب التالية: أخناق وتعني المنخفض بالقبائلية، بن عنصر نسبة لعنصر أو منبع الماء، برازة اسم أحد الأودية، برَجْرُوجُ معناه صوت خرير المياه، إرزاً اسم حقل بصيغة الجمع، إززي اسم حقل بصيغة المفرد، تَغَانِيْمْتُ اسم حقل بصيغة المؤنث ومعناه نبتة القصب، تِيغِيْلْتُ اسم حقل بصيغة المؤنث معناه الرَبْوَة.²

الصنف الرابع من الألقاب مأخوذة من أسماء الحيوانات والنباتات والطيور، حيث يعتبر الإنسان اجتماعيا بطبعه ويعيش في حياته اليومية مع كائنات حية أخرى لا يستغني عنها، وعلى رأسها النباتات التي يستعملها كغذاء ودواء ولأغراض متنوعة، وكذلك الحيوانات التي يحصل

1 - عبد النور أيت بعزیز- المرجع السابق - ص 174، 175.

2 عبد النور أيت بعزیز- نفسه- ص 175.

منها على المأكّل والمشرب والملبس، ويستعملها كوسيلة للتنقل وحمل الأثقال وله فيها منافع ومآرب أخرى، الأمر الذي جعله يتخذ من أسمائها ألقابا عائلية، ومن الأمثلة على ذلك نذكر الألقاب التالية: أَغَانِيم اسم مذكّر ومعناه نبات القصب، بَخُوش اسم عصفور صغير الحجم، أيت ديب وبن ديب (بالصيغة العربية) وبن أُوشَنّ وأُوشَنّ (بالصيغة القبائلية) بمعنى أولاد الذئب أو المتصفين بصفات الذئب، بَلْقَطُ صاحب القِطْ، بَلْكَرِي وبن كري صاحب الكباش، بن غزال، بن حمام، بَجُوجُو صاحب الدجاج، أَكْسَاس الكباش قليل الصوف، بن صفصاف، بن زَمْرَان وإِزْمَرَان وزَمُورِي وزيتوني ابن الزيتون أو صاحب الزيتون، برقوق، بُوعْلِي اسم طائر، بُوعَكَاز صاحب العصا، بوبقرة، بورمانه، خُوفَاش اسم طائر، سَبُوس اسم طائر، تِيرَعَت اسم شُجيرة، لَبّة اسم لَبْؤة، جِيحِيك اسم زهرة.¹

الصنف الخامس من الألقاب مأخوذة من أسماء المهن والحرف والغلال، إذ تُعدّ المهنة والحرفة التي يمارسها الإنسان من الأمور التي ترفع أو تحط من قيمته، وتحدّد درجته ومكانته الاجتماعية وحتى مستواه الاقتصادي ونفوذه السياسي أو الإداري، وهو ما جعلها من بين المصادر التي أخذت منها ألقاب بعض العائلات، والملاحظ هنا أن الألقاب المتعلقة بهذا الجانب عادية ولا نجد فيها أسماء المهن الحفيرة والوضيعة التي تُشوّه أو تُسيء إلى سمعة الفرد، ومن الأمثلة على ذلك نذكر الألقاب التالية: أَقَاوَة يُطلق على التاجر المتجول، أيت زيت، عَمْرِيُو يُطلق على نوع من التين ذو الجودة العالية، حَدَاد وبن حَدَاد وإِحْدَادَن، طالب وبن طالب وطالبي، بن خوجة، جَزَار، كَتَّاب، نَسَّاح، أُوشِيخ نسبة للمشيخة، أُولْمَان يُطلق على خيوط الصّوف، سَلَاطَنَة نسبة للسّلطنة، بُوسَعْدِيَة يُطلق على المُغْنِي المتجول الذي يستعمل المزمار والغايطة والطبل.

الصنف السادس من الألقاب مأخوذة من الصِّفَات الخَلْقِيَة والخُلُقِيَة للإنسان، حيث يتّصف الإنسان في كل مكان وزمان بصفات وأخلاق حسنة وذميمة في نفس الوقت، وقد جاءت الألقاب المستمدة من هذا المجال في الإقليم مطابقة لهذه القاعدة حيث اشتملت على النوعين معا، فمن الصفات والأخلاق الحسنة نذكر الأمثلة التالية: بن جُودي من الجود، بن فاضل من

1 - عبد النور أيت بعزيز- المرجع السابق- ص 175-176.

الفضل، بن غانم من الغنيمة والفوز، بن إرباح و بن إريح من الرّيح والنصر، بن موقّق من التوفيق، بن الزّين من الجمال، فضلاً جمع فاضل ومن الفضل، الخَيْرُ صاحب الخير، سعد سعود وسعيد من السّعد والسّعادة، مدّاح من المدح والمديح أو الغناء.¹

كما توجد ألقاب تدل على صفات وأخلاق وسطية لا هي حسنة ولا ذميمة، وأخرى عبارة عن أسماء أعضاء جسم الإنسان مثل: بن شَعْلَالُ معناه ابن الأشقر، برقاش معناه المزرکش، بن مجدوب من الجذب، بوسّنة من العدد ستة، بَزْطُوطُ معناه الفقى، بلحّلة من اللّون الأسود، بن شايب من الشّيب أي تلوّن الشّعر بالأبيض، بوراس صاحب الرّأس البارز أو المتصف بالخشونة، بورماش من رُمُوش العين، بوجنّاح من الجناح، بُوْكَفُوفُ من الكف واليد، بُوْخْشَمُ صاحب الأنف البارز، بَهْلُولُ وبن بهلول صاحب الفكر المضطرب أو المعتوه، بُوْكَرْشَة صاحب البطن البارز، زَدّامُ معناه المقدام الذي لا يخاف، قُبْجَارُ معناه الرّجل أو صاحب الرّجل.²

أما النوع الثالث من الألقاب هذه المجموعة السادسة فتدل على صفات وأخلاق ذميمة وعددها قليل جداً وهو ما يؤكّد أن الإقليم كان محظوظاً جداً في هذا الجانب السلبي مقارنة ببقية أقاليم الجزائر، ولا ندري ما هو السّبب في ذلك، ولكننا نفترض أن قوة شخصية سكانه هي التي جعلتهم يرفضون تقبّل الألقاب المشينة مثل: أَمْعُوشُ ومعشّة معناه النحيف والهزيل، بن جني، زَرْوَالُ وِرْعَاشُ معناه الأحول، بودشيش، قُوقَامُ معناه الأبكم، قتال.³

يمكن القول أن الألقاب العائلية للعينة المدروسة والخاصة ببلدية بني ورتلان تحمل دلالات وأبعاد منطقية وطبيعية وعادية لكونها مستمدة من العنصر البشري كفرد وجماعة وقبائل وأعراش، وما يحيط به ويتفاعل معه من عناصر الطبيعة الجغرافية، وما يعيش فيها من نباتات وحيوانات وطيور، وهو ما يدل على مدى ارتباط وتعلّق أبناء هذا الإقليم بعناصر هويتهم وانتمائهم الحضاري وتمسّكهم بأرضهم وحبّهم لوطنهم ودفاعهم المستميت عن حقوقهم المشروعة المسلوبة. وبصمودهم وتحديهم وإفشالهم لمشاريع المحتل الفرنسي في هذا الجانب.

1 - عبد النور آيت بعزیز- نفسه- ص 176.

2 - عبد النور آيت بعزیز- المرجع السابق- ص 176، 177.

3 - عبد النور آيت بعزیز- نفسه- ص 177.

2.3.3- بناء المدارس الابتدائية الفرنسية وإحصاء السكان: تزامنا مع تلقيب العائلات تم بناء بعض المدارس الابتدائية الفرنسية سنة 1890م في القرى التالية: قنزات، شريعة، ثيمناقش، ثيطسث، إيث حافظ، ثالمات، لوطا نتكورث، أنو، والملاحظ هنا أن القرى الواقعة في عرشي بني براهيم وعرش بني غبولة لم تشيّد فيها أية مدرسة لأسباب نجلها، كما أن المعلومات حول عمل هذه المدارس الفرنسية من حيث البرنامج أو المنهاج المطبّق وأسماء المعلّمين والحجم الساعي والمواد المدرّسة، وهل كان التدريس يقتصر على اللغة الفرنسية وحدها أم لا، وهل سمح لأبناء المنطقة بالمشاركة في التدريس وكيف كان الإقبال على هذه المدارس، كل هذه الأمور تبقى مجهولة. ولكن حسب شهادات كبار السن الذين عايشوا هذه الفترة فإن هذه المدارس فشلت في مهمتها وتعرّضت للمقاطعة لأن سكان الإقليم كانوا يرسلون أبناءهم إلى الكتاتيب والمساجد والزوايا لتعلّم الدين الإسلامي واللغة العربية وحفظ القرآن الكريم¹. كما قامت سلطات الاحتلال بإجراء عدة عمليات لإحصاء سكان الإقليم كان أولها عام 1890م كانت نتائجه كما يلي:

- عرش عين لقراج: المساحة: 7758 هكتار/كم²، السكان: 7285 نسمة.
- عرش بني شبانة: المساحة: 6530 هكتار/كم²، السكان: 5611 نسمة.
- عرش بني معوش: المساحة: 6458 هكتار/كم²، السكان: 5029 نسمة.
- عرش بني ورتلان: المساحة: 3653 هكتار/كم²، السكان: 4000 نسمة.
- عرش حربيل: المساحة: 8112 هكتار/كم²، السكان: 7171 نسمة.
- عرش إخليجن: المساحة: 4783 هكتار/كم²، السكان: 4603 نسمة.
- عرش رأس ثالة نتنزار: المساحة: 5168 هكتار/كم²، السكان: 5050 نسمة.
- عرش ثيقناتين: المساحة: 3693 هكتار/كم²، السكان: 3000 نسمة².

1- محمد أوسليمان بجوجو- تاريخ شمال سطيف من العصور القديمة إلى نهاية الثورة التحريرية بني ورتلان بني يعلى ذراع قبيلة إيث

عبدل بن معوش- ط2- متيعة للطباعة A C A - الجزائر- 2022م- ص 59.

2- محمد أوسليمان بجوجو- نفسه- ص 60.

إذا كان غرض السلطات الاستعمارية من بناء المدارس الفرنسية هو محاربة اللغة العربية والأمازيغية ونشر اللغة الفرنسية والثقافة والحضارة الفرنسية والغربية والعادات والتقاليد الفرنسية والأجنبية، فإن الغرض من إحصاء السكان هو معرفة عددهم بالضبط قصد التحكم فهم وتحديد حجم ومبلغ الغرامات المالية التي يدفعونها، تبعا للمساحة الزراعية وعدد رؤوس الحيوانات وكمية الإنتاج الفلاحي ونوع النشاط الممارس أو الحرفة والمهنة والمدخول الفردي، وعدد الذين يستطيعون حمل السلاح والذين يملكون الأسلحة البيضاء والنارية، وقد تسببت هذه الإجراءات في تفاقم معاناة السكان وتفشي البطالة والفقر والأمراض الفتاكة والأوبئة والأمية والهجرة وغيرها من الظواهر التي انعكست سلبا على الحالة النفسية والاجتماعية والاقتصادية للسكان وأثرت على صمودهم.

الخاتمة: خرجنا من هذه الدراسة النظرية بجملة من الملاحظات والاستنتاجات نلخصها في النقاط التالية:

- إقليم بني ورتلان وما جاوره يشكل معبر وممر عبور استراتيجي يتوسط حاليا ثلاث ولايات هي: بجاية، سطيف، برج بوعريش، يمتاز بطابعه الجبلي الريفي المعزول والمعقد، وكان خلال القرن التاسع عشر ميلادي جزء من بلدية قرقور المختلطة.
- رغم الحملات العسكرية المتعددة التي شنتها القوات الاستعمارية على هذا الإقليم إلا أنها فشلت في السيطرة عليه ميدانيا واعتمدت على سلطة ونفوذ القياد من الزعماء المحليين كأداة ناجعة لبطش نفوذها قصد التفريق بين سكانه وإثارة الخلافات فيما بينهم ثم بين الحكام والمحكومين.
- طبقت الإدارة الاستعمارية الفرنسية المحلية على مستوى بلدية قرقور المختلطة بالتنسيق مع السلطات الجهوية والإقليمية في بجاية وسطيف وقسنطينة العديد من السياسات والأساليب في محاولاتها المتكررة لفرض سيطرتها على الإقليم وسكانه، تمثلت في إحراق القرى بما فيها ومن فيها، وهدم المساجد والزوايا وإتلاف المكتبات والمخطوطات والتضييق على العلماء والطلبة، ونشر اللغة الفرنسية والديانة المسيحية في مكان اللغة العربية والأمازيغية والدين الإسلامي، ولكنها فشلت في تحقيق أهدافها ولو جزئيا بسبب مقاومة السكان وتصديهم بحزم لهذه المشاريع.

- زيادة على الإجراءات المذكورة اتبعت السلطات العسكرية والإدارية المدعومة من طرف القياد سياسة قمعية شملت إطلاق يد القياد وتسليطهم على السكان ومنحهم سلطات مطلقة، وفرض تلقيب العائلات وتقسيم قبيلة بني ورتلان وتفتيتها إلى دواوير وأعراش متناحرة، وإحصاء السكان وإنهاكهم بالغرامات وتجريدتهم من كل ما يملكون ماديًا ومعنويًا وقتل روح المقاومة فيهم.

- قاوم سكان الإقليم ببسالة كل المشاريع والسياسات والإجراءات والمكائد التي استهدفتهم من القياد ومن السلطات الاستعمارية بفضل وعيهم وحبهم لوطنهم ووجود العلماء من مدرّسين وأئمة وقضاة وفقهاء وطلبة ومقاومين وثوار، وهو ما جعل الإقليم يتمتع بالحصانة إلى حد كبير ويحافظ على أصالته وهويته وشخصيته الأمازيغية والعربية الإسلامية، ويُفشل مخططات الاحتلال الفرنسي في القرن 19م.

- حاولنا في هذه الدراسة أن نجيب على التوصية التي قدّمها الباحث الدكتور عبد الغفور نصر الدين من جامعة سطيف في مقاله المذكور والمتعلقة بضرورة الاهتمام بدراسة التاريخ المحلي كجزء هام من التاريخ الجهوي ثم الوطني، من خلال تخصيصنا هذه الدراسة لإقليم بني ورتلان وما جاوره وهو جزء من إقليم سطيف.

- في الأخير كتوصية نقول أن هذه الدراسة تُعدّ جزئية وتحتاج إلى توقّر المزيد من الوثائق والمصادر التاريخية حتى يتم تسليط الضوء على مختلف جوانب هذا الموضوع، وتحتاج إلى دراسات أخرى تكمل الثغرات وتسد الفجوات وتعطي صورة أوضح وأشمل حول أبعاد هذه السياسة وردود الأفعال الناتجة عنها.

المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية

- 1- عبد النور أيت بعزیز- قراءة في ألقاب عائلات بني ورتلان دلالات وأبعاد- مجلة المسار- السنة 19- ع 56- مركز التراث والبحوث اليميني- صنعاء- اليمن- 2018م.
- 2- محمد البشير الإبراهيمي- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي- ج 4- (1952- 1954م)- ط 1- دار الغرب الإسلامي- بيروت- 1999م.
- 3- محمد أوسليمان بجوجو- تاريخ شمال سطيف من العصور القديمة إلى نهاية الثورة التحريرية بني ورتلان بني يعلى ذراع قبيلة إيث عیدل بني معوش- ط 2- متيجة للطباعة A C A- الجزائر- 2022م.

4- عثمان مجدوبي- الحكاية الشعبية في منطقة بني ورتلان دراسة ميدانية- رسالة ماجستير في الأدب الشعبي- جامعة الجزائر- 2001/2000م.

5- عبد الرزاق جيجيك- التراث الثقافي لمنطقة بني ورتلان معالم وأعلام- ط2- دار المجدد- المكتبة الوطنية الجزائرية- سطيف- الجزائر- 2021م.

6- يحي بوعزيز- وصايا الشيخ الحداد ومذكرات ابنه سي عزيز- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- 1980م.

7- عبد الغفور نصر الدين- المقاومة السلمية بالعرائض والشكايات: قبائل بني ورتلان وبني يعلى وقرقور (سطيف) 1840- 1900م أنموذجا- مجلة عصور الجديدة- ع1- مخبر تاريخ الجزائر- جامعة وهران 1- 2023م.

2- المصادر باللغة الأجنبية

- 1- Archives Diplomatiques de Paris (A.D.P)- Gouvernement Général de l'Algérie (G.G.A)- 19 H /58.
- 2- G. Belval- Encyclopédie Contemporaine- in (A.D.P)- (G.G.A)- 19 H /58.
- 3- Archives de la Cadastre de Sétif- Rapport de Sénatus Consulte de la Tribu des Beni Yala- N 92-1890.
- 4- Archives de la Cadastre de Sétif- Rapport de Sénatus Consulte de la Tribu des Beni Ourtilane- N 73- 1895.
- 5- Lucien Leclerc- Campagne de Kabylie en 1850 Route de Sétif à Bougie- Revue Africaine- N° 04- A. Jourdan- Libraire- Editeur- Alger- 1859- 1860.
- 6- Lucien Leclerc- Campagne de Kabylie en 1850 les Beni- Ourtilan- 2° Article- Revue Africaine- N° 05- A. Jourdan- Libraire- Editeur- Alger- 1861.
- 7- Charles Louis Féraud- Exploration Nautique de la Soummam et du Bousellam dans la Grande Kabylie- Revue Africaine- N° 01- A. Jourdan- Libraire- Editeur- Alger- 1854.
- 8- Charles Louis Féraud- Exploration Nautique de la Soummam et du Bousellam dans la Grande Kabylie- Revue Africaine- N° 02- 1857.